مذكرات طبيب عن حمى الدنج

(ابو الركب)

كيف اثبت الدكتور غراهام نوع البعوض الذي ينقل مكروبها

[انتشرت حمى الدنج (ابو الركب) في لبنان في هذا الصيف وقيل انها آخذة في الانتشار في مصر فرأينا ان ننشر لقراء المقتطف هذه المقالة وهي مقتطفة من رسالة مهمة للمرحوم الدكتور غراهام استاذ الباثولوجيا سابقاً في جامعة بيروت الاميركية وهو اول من اثبت طريقة انتقال عدواها]

١

لم يعرف شيء أكيد عن باثولوجيَّة هذا المرض وعن طرق انتشاره رغماً عما كتب من المجلدات الضخمة والتقارير المفيدة عنهُ منذ انتشاره في جزيرة جاوى والقاهرة والاسكندريَّة سنة ١٧٧٩ الى ان دخل البلدان التي شرقي البحر المتوسط سنة ١٨٨٩

وقد شرَّح بعض المدققين كثيرًا من جثث المتوفين بهذا المرض فلم يروا تغيرات ظاهرة فيها . وكان يظنُّ سابقاً انهُ مرض ناشئ عن العفونة والرطوبة ولكن بعد تفشيهِ سنة ١٨٩٩ عمَّ الاعتقاد جمهور الباحثين فيهِ بانهُ مرض معدٍ . وقد ذكر الاستاذ الدكتور لنتسرن (في باثولوجية نوتناجل) قولاً جمع فيهِ ملخص ما كتب عن هذا الداء وهو «انهُ ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا ينتشر الاَّ حيث توجد المستنقعات او المتصعدات المازمية» ومما يثبت انهُ مرض معدٍ سرعة انتشارهِ من منزل الى منزل في مدينة دخلها وسرعة انتقالهِ من شخص الى آخر من افراد عائلة واحدة

ومما يجمل ذكرهُ ان عدم انتشار المرض في الاماكن الخالية من المستنقعات ادَّى بكثيرين من الباحثين الى الاعتقاد انهُ ليس من الامراض المعدية بل انهُ مرض مازمي ينشأ عن متصعدات الاراضي الواطئة الرطبة . والادلة كثيرة على عدم انتشارهِ في غير الاماكن الواطئة التي تطيب لهُ الاقامة فيها . فقد ظهر من تفشيهِ في كوبا وجاميكا والهند الشرقية وريونيون وماريتينك ومدغسكر انهُ لم ينتشر في الاماكن العالية الجافة التي في الداخلية مع كثرة المواصلات والاختلاط . وكثيراً ما يحدث ان بعض اهالي الداخلية يقصدون السواحل ثم يعودون منها وقد ادركهم المرض واشتدت

عليهم وطأة الحمّى ولا يصاب به احدٌ من اهلهم المقيمين معهم في منزل واحد . فسهولة الاصابة به في احوال مخصوصة وصعوبتها في احوال اخرى بقيا سرًّا غامضاً الى الآن

على ان تفشي هذا المرض في بيروت في صيف ١٩٠١ مهّد السبيل الى درسه درساً دقيقاً ومعرفة الاحوال التي تيسّره معدياً في بعض الاحيان وغير مُعدٍ في الاخرى. فان لبيروت مزايا طبيعيّة ظاهرة تجعل درس هذا المرض سهلاً وتمكّن الباحث من عمل تجارب لا يمكنهُ عملها في مكان آخر . فهي واقعة على ساحل البحر في سهل تناخمهُ قمم لبنان التي تختلف بين ٢٠٠٠ و٩٠٠٠ قدم في الارتفاع . ففي ساعة او ساعتين من الزمان يستطيع الباحث درس احوال هذا المرض في الاماكن التي على مساواة سطح البحر والتي تعلو عدة آلاف من الاقدام عنهُ

وفي اوائل يوليو سنة ١٩٠١ ظهر المرض وكان بطيء السيْر ولكنهُ اخذ يشتدُّ بزيادة الاصابات وانتشر في جميع احياء بيروت والقرى المجاورة لها حتى لم يكد منزل يخلو منهُ واذا دخل منزلاً لم يكد احد ينجو من عدواهُ . وكانت الحمى تدوم من ثلاثة ايام الى ثمانية وفي اثناء انحطاطها يظهر نقاط جلدي مختلف في كثرته وقلته . وكان كثيرون من الذين يصابون بهذا المرض — وهم ٣٠ في المائة من السكان حسب اختباري — يصابون به ثانية اصابة اخف من الاولى عادة وذلك بعد مدة تتراوح بين ٤ ايام و١٥ يوماً من الاصابة الاولى ويكون في اثناء ذلك ضنىً عمومياً . وقد عرفت قليلين اصيبوا بالمرض ثلاث دفعات شديدة في اوقات مختلفة وكان يعقب كلَّ دفعة نقاط جلديّ وسقوط قشور من الجلد . وبلغت الحوادث التي وقعت تحت مشاهدتي مدة تفشي المرض ٥٠٠ حادثة فلم أرَ فيها ما يخالف الحوادث التي وصفها منسون او غيرهُ من الاطباء

هذا وقد شاهدت بعض حوادث المرض الذي تفشى في سواحل سورية سنة ١٨٨٩ فتبين لي منها ومن تقارير غيري من الباحثين في اماكن اخرى أن البعوض هو الذي يجعل المرض شديد العدوى في مكان وعديمها في مكان آخر . فان بين بيروت ولبنان من الجهة الجنوبية سهلاً واسعاً من الرمال والى شماله بساتين مغروسة توتاً تروى بمياه النهر . والبعوض يفشى منازل بيروت بكثرة ويكثر وجودهُ او يقلُّ في سفح لبنان فلا يسلم منهُ الا قليل منها . وليس في مدينة بيروت نفسها انزٌ لنوع البعوض المسمى انوفوليس (كتبت هذه المقالة سنة ١٩٠٢) مع اني دققت في التفتيش عنهُ انا

وغيري ولكن النوعين المسميين كولكس فاتيغنس Culex fatigans وستغوميا فاسياتا Stegomyia fasciata يشبانها بكثرة ووجدت نوع كولكس فاتيغنس (البعوض العادي) في كثير من قرى لبنان المشرفة على بيروت الى علو ٥٠٠ قدم عن سطح البحر وكذلك نوع ستغوميا فاسياتا ولكنهُ اقلُّ من الاول

٢

وفي اوائل تفشي المرض جربت عدة تجارب لاتحقق هل البعوض المسمى كولكس فاتيغنس ينقل العدوى من شخص الى آخر . واول تجربة جربتها كانت في امٍّ وطفل رضيع لها . ففي بدء اصابتها أعدم البعوض كلهُ من غرفتها بواسطة غاز الكلورو وكانت تنقل كلَّ يوم من غرفة الى اخرى بعد اعدام البعوض منها . وقد بقيت مريضة مدة خمسة عشر يوماً كانت الحمى فيها شديدة وسمح لها بارضاع طفلها في تلك المدة كلها ولكنهُ لم يصب بمكروه البتة

والتجربة الثانية تمت على الطريقة نفسها واتخذتُ جميع الاحتياطات لابعاد البعوض كما في الاولى وكان المريض فيها صبيًّا عمرهُ احدى عشرة سنة ولهُ ثلاثة اخوة دونهُ سنًّا وعمر اصغرهم اربع سنوات وكان الاربعة ينامون في فراش واحد موضوع على الارض فلم يصب احد من الثلاثة الاصحاء بالمرض واعني بطرد البعوض من الغرفة مدة ١٣ يوماً

والتجربة الثالثة جربت برجل لهُ ثلاثة اولاد قد اصيب بالمرض ورضي باحتمال كل مشقة ليحمي زوجتهُ واولادهُ منهُ فاتخذت التدابير اللازمة كما في الحادثتين السابقتين . وكانت اصابتهُ معهُ شديدة واستمرت خمسة ايام وظهر بناظ على الجلد وتساقطت منهُ قشور . وطرد البعوض من الغرف مدة ١٧ يوماً فلم يصب احد غيرهُ من افراد عائلته بالمرض

وقد اعدتُ هذه التجارب في حوادث اخرى ولكني عدت عدلت عنها بسبب اهمال اهل المرضى فاني كنت ارى البعوض في الغرف عند عيادتي لمرضاهم وكانوا يقولون انهم يفضلون الاصابة بالحمى على النزل . وخلاصة القول ان النتائج جاءت على ما يرام حيث اتخذت الاحتياطات اللازمة

على ان الدلائل في التجارب المتقدمة كانت سلبية وعليهِ جربت تجارب اخرى للوصول الى نتيجة ايجابية وذلك بالتلقيح . وعذري في تعريض الناس للعدوى هو

ان كل شخص قابل لها في المدينة كان لا بد ان يصاب بالمرض على كل حال . ثم ان المرض ليس ذا خطر على من كان شابًّا وصحيح الجسم . وكنت اصف ماهية التجربة لمن يتقدم لها من الشبان — ولم اكن اختار سوى الشبان الاصحاء — فكان يبدي رضاءهُ التام باحتمالها مقابل دراهم يتقدها . ولم تكن هناك صعوبة في وجود اشخاص يرضون احتمال التجربة بل في اختيار اصلحهم لها . فاخترت اربعة اشخاص من عائلات لم يصب احد من افرادها بالمرض . وكنت آخذ كلَّ مرة عدة بعوضات من داخل ناموسية (كلّة) المصابين بالدنج واضعها داخل ناموسية الاشخاص المراد تلقيحهم وكانوا ينامون ليلة بعد ليلة وهذه البعوضات داخل ناموسياتهم . فاصيب احدهم بالمرض بعد وضع البعوضات داخل ناموسيته بخمسة ايام والثاني بعد وضعها بستة ايام والثالث باربعة . اما الرابع فمضى عليه اسبوع ولم يصب بسوء فجئت ببعوضات اخرى مكان البعوضات الاولى فاعدن الكرة عليه وعدنَ خائبات . وقد اخبرني هذا الشاب انهُ اصيب بالمرض مدة تفشيه سنة ١٨٨٩ وصحب ذلك ظهور نقاط على الجلد وسقوط قشور منهُ . ولعلَّ ذلك كان السبب في عدم قبوله لعدوى هذه المرة

وقد اصبت انا بالمرض سنة ١٨٨٩ واشتدَّت وطأتهُ عليَّ ولكني لم اصب به هذه المرة مع اني تعرضت لهُ على الدوام ولم أعنَ بوقاية نفسي منهُ . وقد اشترطت على الذين عملت التجارب فيهم ان لا يخرجوا من منازلهم حتى لا يأخذوا العدوى من الخارج ومع ذلك كله لم اثق تمام الثقة انهم لم يأخذوا العدوى من طريق آخر نظراً الى كثرة انتشار المرض وشدته في مدينة مثل بيروت . فلتلافي هذا الامر اخذت بعض البعوض من داخل سرير رجل مصاب بالدنج وصعدت به الى قرية على سفح الجبل لم يكن احد من اهلها قد اصيب بالمرض بعدُ وكنت قد اغتسلت وغيَّرت ملابسي قبل صعودي الى الجبل . والقرية المذكورة تعلو نحو ٣٠٠٠ آلاف قدم عن سطح البحر ولا يكاد يكون للبعوض اثر فيها وهواؤها جافٌّ موافق للصحة جدًّا . وبعد بحث قليل اهتديت الى شابين يقطن كل منهما منزلاً بعيداً عن الآخر فرضيا ان تعمل تجربة التلقيح فيهما . فاصيب احدهما بنوبة شديدة من الدنج بعد ان نام اربع ليالٍ تحت ناموسية فيها عدد من البعوض والآخر بعد خمس ليالٍ وبقيا ينامان في غرفتيهما اياماً بعد ان نقلها وكنت قد اعددت البعوضات التي داخل ناموسيتيهما حتى لا يصاب احد غيرهما

بالمرض . فلم اعلم باصابة واحدة هناك مدة الصيف كله مع اني لم آل جهداً في البحث والتحقيق

وحدثت اصابات كثيرة في قرية كبيرة اسمها عاليه وهي على علو ٢٣٠٠ قدم عن سطح البحر وسط منازلها ينشأ البعوض (كولكس فاتجس). وهناك قرية اخرى اسمها بحمدون على علو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهي جافة الهواء وقلما يرى للبعوض اثر فيها وواقعة على خط سكة الحديد . وقد جيء اليها بعض المصابين بالدنج من بيروت ولكن المرض لم ينتشر بين الذين لم ينزلوا الى بيروت منها . وحدثت اصابات في عين صوفر وهي على علو نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ولكن هواءها اقلّ جفافاً من هواء بحمدون وبعوضها كثير . اما عاريًّا والشويفات وغيرها من القرى الواطئة المجاورة لبيروت فاشتدت فيها وطأة الدنج مثل اشتدادها في بيروت تقريباً

فيلوح لي من التجارب المتقدمة وغيرها ومن ابحاث الآخرين في هذا الصدد ان البعوض هو ولا ريب السبب في نشر المرض وان النوع العادي المسمى كولكس وهو ما كنّا نعدّهُ عديم الضرر الى الآن ينقل العدوى بلا شكّ ولا ارتياب

والتجارب التي شرحتها في صدر هذه المقالة وابنت بها اني وقيت الاصحاء منع البعوض من الوصول الى المصابين مع ان الاصحاء كانوا في اختلاط دائم معهم تدلُّ ايضاً على ان المرض لا يعدي ما لم ينقل البعوض سمَّ العدوى

٣

ولما تقرَّر عندي ان البعوض واسطة نقل العدوى من شخص الى آخر استدللت طبعاً ان سبب المرض او سمَّهُ انما هو في الدم وعليه فحصت دم اكثر من مائة شخص اصيبوا بحمَّى الدنج املاً بان اجدهُ فيه فاختبرت لتجاربي الاشخاص الذين كانت درجة الحمَّى فيهم عالية واعراض المرض ظاهرة وسيرهُ قانونيًّا ولم أبال بالاصابات الخفيفة التي دامت يوماً او يومين ولم ترتفع درجة الحرارة فيها فوق المائة . استعملت في تحضير الانموذجات وفحصها نفس الطرق المستعملة لفحص الدم الذي يحتوي على جراثيم الملاريا . فجاءت النتيجة على ما يرام عند فحص الدم جديداً اما الانموذجات فكنت استحضرها على حسب طريقة ارلخ والونها بازرق التيلين او به مع البورق وصبغة ارلخ ولكن النتيجة لم تأتِ بالمرام في اول الامر مع شدة الاعتناء وتكرير البحث . واخيراً رأيت في كريات الدم الحمراء جسماً ذا حركة يشبه

مكروب الملاريا المسمّى بلازمود يوم ملاريا من وجوه عديدة . غير اني وجدت صعوبة عظيمة في تتبع ادوار حياته لانهُ يطيء النموّ جدًّا حتى ان كريات الدم كانت تفسد وتتحلل في الانموذجات التي استحضرها لفحص مهما بالغت في العناية بها قبلما امكني من معرفة شيء يذكر عن ادوار حياته . وكانت الحمى تستمرُّ في هذه الحوادث من اربعة ايام الى ثمانية او عشرة . فلكي اراهُ في ادواره المختلفة استحضرت عدة انموذجات من الدم من ابتداء الحمى الى آخرها وكنت ادوّن تاريخ ابتداء الحمى باليوم والساعة وتاريخ استخراج الدم لفحصه . وبعد تمرين قليل على العمل صرت أرى هذا المكروب في كل اصابة . وقد صوّرت ما كنت اراهُ بالمكرسكوب في فحص الانموذجات ورتبت الاشكال ترتيباً طبيعيًّا على قدر ما امكن

وعند انتهاء المرض وهبوط الحمى كنت ارى الكريات البيضاء متضخمة مما ابتلعتهُ من المكروب الميت . وقد دققت كثيراً في فحص الدم وقت الاصابة الثانية والثالثة فرأيت ما رأيتهُ في الاصابة الاولى . ولما كانت هذه المكروبات اقل عدداً في الدم من مكروبات الملاريا وابطأ نموًّا وغير ملونة كانت ايضاً اقل ظهوراً واعسر اكتشافاً . ولكن الذي تعوّد رؤية مكروب الملاريا لا يخطىء اكتشاف هذه مرة واحدة

فيستنتج اذاً من وجود هذا المكروب في الكريات الحمراء من دم المصابين بالدنج ومشابهته لسائر صور المكروبات التي ثبت انها تسبب الحميات وانتقاله من شخص الى آخر بواسطة البعوض ان هذا المكروب سبب حمى الدنج

٤

هذا وان سكان بيروت فئتان فئة تقضي الصيف في الجبال واخرى في المدينة نفسها . وفي اواخر صيف ١٩٠١ تفشت حمى الدنج فيها ولم يبقَ احدٌ الا اصيب بها . ولما زالت واخذ الهواء يبرد عاد المصطافون الى المدينة آمنين ضررها . ولكنها فتكت بهم ولم تنتهِ حتى اوائل نيسان . فيظهر من هذا ومن كثرة الذين أصيبوا بها — وهم يبلغون ٥٧ الى ٥٨ في المائة — ان السبب في زوالها ليس برودة الهواء بل كون القابلين عدواها قد أصيبوا بها

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٢ عالجت اربعة اشخاص مصابين بالدنج وفي فبراير ثلاثة وكانوا كلهم قد جاؤا حديثاً من داخلية البلاد حيث لم يكن الدنج اذ فوجدت المكروب فيهم كلهم عند فحص الدم في اوائل المرض . ولم يقم احدهم في بيروت سوى ايام قليلة

قبل اصابته . فيستدلُّ من هذا ان حمّى الدنج قد تمكث مدة طويلة بعد ما تزول آثارها ظاهراً

ومما يجب ذكرهُ اني لم اختبر لتجاربي في الحوادث المتقدمة سوى اصابات الدنج الواضحة وكلنا يعلم ان من اسهل الامور عندنا ذكر « ابو الركب » فكلُّ اصابة بالحمّى يسير استقصاؤها وتشخيصها نقول انها ابو الركب وذلك على مدار السنة سواء كان ابو الركب منتشراً اولا فتطمئن بذلك خواطر اهل المريض وان كانت ضمائرنا لا تطمئنُّ به . فاذا كانت الاصابة في الشتاء ولا اثر لحمّى الدنج قلنا انهُ « ابو الركب الشتوي » وغايتنا من ذلك حمل اهل المريض واصدقائه على الاطمئنان وسكون البال من جهتهِ . على ان قسماً عظيماً من امثال هذه الحوادث لاعلاقة لهُ بالدنج البتة فيجب ان يسمى اسماً آخر

وفي اعتقادي ان التجارب المتقدمة تزيل ما بين الباحثين من اختلاف الآراء. فان بعض المشهورين من الاطباء يذهبون الى ان الدنج مرض شديد العدوى ويخالفهم غيرهم من مشهوري الاطباء ايضاً فيقولون انهُ مرض ينشأ عن الرطوبة ولا يعدي في الاماكن العالية . والسبب في هذا الاختلاف ان الاولين راقبوا المرض في اقاليم تكثر انواع البعوض فيها على حين ان الآخرين راقبوهُ حيث لاوجود للبعوض او حيث وجودهُ قليل

٥

[المقتطف] لم تتقدم المباحث الطبية تقدماً يذكر في معرفة سبب هذه الحمى منذ كتب المرحوم الدكتور غراهام مقالتهُ هذه سنة ١٩٠٢ مع ان بعض الباحثين قاموا بمباحث دقيقة لاثبات الطرق التي تنتقل بها عدواها . فقد اثبت الطبيبان اشبرن وكريج في الفيليبين وغيرهما في انحاء اخرى ان ما قال بهِ الدكتور غراهام عن انتقال عدواها بواسطة بعوض كولكس فاتجنس صحيح . غير أنهُ لم يثبت لاحدهم وجود الاجسام المرضية في الكريات الحمراء التي ذكرها في آخر مقالتهِ وحسبها من قبيل الاجسام التي تسبب الملاريا . وقد توسعنا في كلة مكروب فاطلقناها على كل حي صغير لا يرى الا بالمكرسكوب سواء كان من انواع الباشلس او البرتوزوي او غيرها